جامعة العربي بن مهيدي أم البواقي

كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية

قسم العلوم الإنسانية

ملخص مادة : تاريخ الجزائر الثقافي الحديث والمعاصر

المستوى : ..السنة الثانية

التخصص:. تاريخ

الأستاذ (ة)..قرباش بلقاسم

السنة الجامعية 2021/2020.

برنامج المحاضرات

المحاضرة الأولى: الموروث الثقافي للجزائر الوسيطية.

المحاضرة الثانية: الأمراء والعلماء.

المحاضرة الثالثة: المادة الأوربية وتاريخ الجزائر العثماني.

المحاضرة الرابعة: الشعر والشعراء خلال العهد العثماني.

المحاضرة الخامسة: اللغة والنثر خلال العهد العثماني.

المحاضرة السادسة: علوم الدين، علم الكلام والمنطق.

المحاضرة السابعة: التعليم والمنشآت التعليمية خلال العهد العثماني.

المحاضرة الأولى: الموروث الثقافي للجزائر الوسيطية.

1- المراكز العلمية:

1-1- تيهرت (تيارت): عاصمة الدولة الرستمية 1007م [عبد الرحمن بن رستم] سنة 458م، وقد اشتهرت بالمذهب الإباضي، ولعل أبرز علمائها الشريف الإدريسي ق06م.

1-2- قلعة بني حماد (المسيلة): أسست سنة 1007م، لتصبح عاصمة الحماديين التابعة للفاطميين، وقاد كانت مركزا مهما للعلوم حيث لعب ابن النحوي (ت1119م) دورا بارزا في تقاليد التعليم، وابن حمد (ت. 1230م) في الرياضيات والهندسة.

1-3- بجاية: رغم أن بجاية لم تكن مهمة في بداية التوسع الإسلامي خاصة مع وجود عنابة في المنطقة كمركز تجاري؛ إلا أنها تحولت لتكون عاصمة ثانية لقلعة بني حماد، وعلق الرحالة الإدريسي في كتابه "نزهة المشتاق..." واصفا المدينة: "مدينة بجاية... عين بني حماد، السفن إليها مقلعة وبها القوافل منحطة... مدينة بجاية قطب لكثير من البلدان".، وقد اعتبرت بجاية مركزا ثقافيا تستقطب العلماء كأحمد الغبريني الذي اشتغل في القضاء.

"أنشأ الأمير الناصر بن علناس معهد سيدي التواتي ببجاية، الذي كان يحتوي 3 آلاف طالب، تُدرّس فيه جميع المواد المعروفة، بما فيها العلوم الفلكية والطبية، وتوافد عليها طلاب العلم والمعرفة من كل أصقاع العالم الإسلامي شرقه وغربه ومن بلاد أوربا"، وأكد عبد الرحمن الجيلالي أن بجاية "اشتهرت بصناعة الأدوية المستخلصة من النباتات... و اشتهر ابن النباش البجائي بالعلوم الفلسفية والطبيعة والحكمة والطب".

1-4- مدينة الجزائر: عرفت المدينة شهرتها خلال عهد الدولة الزيرية حيث قام بولوغين بن زيري ببناءها سنة 960م، واستقطبت المدينة الكثير من العلماء خاصة أواخر العهد الإسلامي، ولعل أحد أهم علمائها هو عبد الرحمن الثعالبي 1384م.

1-5- تلمسان: لعب الزيانيون دورا بارزا في إثراء الحياة الثقافية في المغرب الأوسط خلال الفترة الوسيطية، لتتحول المدينة إلى حاضرة مهمة في المغرب الإسلامي، فأنشأت المدارس كمدرسة سيدي بلحسن 1296م، الإخوة ابن الإمام 1310، خلدونية 1347م، تاشفينية 1320م، التي استقطبت العلماء البارزين في العالم الإسلامي، لتعج بالعلماء اللامعين مإبراهيم التلمساني (1212-1292م)، شعيب أبو مدين التلمساني (1115م) الذي قضى فترة من حياته بتلمسان التي توفي بها.

2- المصادر الأساسية للكتابة حول الفترة العثمانية:

- تعتبر المصادر الجزائرية قليلة لا يمكنها أن تنافس الكتابات الغربية، فكتاب العلوم المساعدة للتاريخ آوى أصحابها إلى تونس والمغرب، ولم يظهر سوى نخبة قليلة كابن مريم وابن ميمون وابن سحنون.

- قلة المصادر الجزائرية دفع الكتاب الجزائريين المعاصرين للإعتماد على الرحلات المغاربية وحتى مصادرهم خاصة خلال القرن السادس عشر والسابع عشر، كرحلة التمقروتي التي كانت أواخر القرن السادس عشر، ورحلة العياشي التي كانت خلال النصف الثاني من القرن السابع عشر.

- لم يؤلف علماء الجزائر تآليف تغطي وتدرس ظواهره وتسجل أحداثه، إلا بعض النتف الذي نجده في مؤلفات ابن المفتي، ابن حمادوش، الورتلاني، التلمساني والمشرفي، وللإسف فإن ما كتبه ابن ميمون وابن سحنون وابن زرفة إلا تسجيلا لأخبار ولي نعمتهم، ولهذا فلإحداث نوع من المقاربة يجب العودة إلى كتب التصوف كمؤلفات الفكون وابن مريم... أو لمؤلفات الشعر والشروح الأدبية والفقهية كشروح البوني وغيرهم.

- لم يلتفت علماء الجزائر خلال العهد الفرنسي بالتأليف حول الفترة العثمانية، ولولا بعض الصفحات في مرآة حمدان خوجة، وأعمال توفيق المدني، حامد المشرفي، ابن الأعرج، وترجام أبي القاسم الحفناوي، لفقدنا الكثير من المعلومات عن الفترة الأخيرة من التواجد العثماني في الجزائر، وكان غالبية الجزائريين الذين تأثروا بالثقافة الفرنسية يعتمد على نظرة الكتاب الفرنسيين أنفسهم الذين استمروا في اتهام العثمانيين بالوحشية الثقافية والإستبداد السياسي.

- أمام قلة المادة العربية التي لم تستطع تغطية الفترة العثمانية في الكثير من الجوانب، أصبح الإعتماد على المادة الخبرية والوثائق الرسمية الغربية حتمية لابد منها، فأعمال الأسرى كهايدو، الأب، دارندا، جيروت، ماريا مارتين وفاليتا، وكذا أعمال الرحالة كدالام، جيمس بروس، توماس شاو، الرحالة الألماني هابنسترايت، لوجيي دوتاسي، تبقى مادة انفعالية تعبر عن مشاعر، ولهذا فالباحث ملزم باعتماد وثائق تاريخية رسمية للموازنة بحكم انها لا تعتمد على مشاعر.

قائمة المصادر والمراجع:

- أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج01، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1998م.

- مولاي بلحميسي، الجزائر من خلال رحلات المغاربة في العهد العثماني، ش. و. ن. ت، 1981م.

- عبد الرحمن الجيلالي، تاريخ الجزائر العام، مكتبة الشركة الجزائرية، الجزائر، 1965م.

- يحيى بوعزيز، أعلام الفكر والثقافة في الجزائر المحروسة، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1995م.

- الإدريسي، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، مكتبة الثقافة الدينية.

المحاضرة الثانية: الأمراء والعلماء.

مكانة العلماء لدى السلطة:

- أدى ظهور طبقة حكام جهال ليس لهم صلة بالحضارة الإسلامية واللغة العربية ولا بأمور الدين؛ فجهل الحكام أدى لظهور العلماء كفئة متميزة ليسدوا الفراغ كمستشارين ومشرعين ومفسرين، فدولة بني زيان اتخذت من العلماء مستشارين ومن المثقفين كتابا ومادحين لكنها لم تفتح وظيفة باسم "شيخ الإسلام".

- يبدو أنه باعتبار الحكام العثمانيين غرباء اهتموا بشؤون الحكم، الإدارة والإقتصاد وتركوا المسائل الدينية لعلماء الجزائر، وهكذا بدأ الفصل في تطبيق الأحكام التي أضيفت لها قوانين وضعية، ليبدأ فصل الدين عن الدولة فسيطر الحكام على الدولة الزمنية ليتغلبوا في النهاية على السلطة الروحية التي يمثلها العلماء.

- كان الباشاوات يعينون العلماء في المناصب المتعلقة بالإفتاء والقضاء وحتى التعليم، لكن لم شارك العلماء في اختيار الحكام؛ فالأوجاق [المؤسسة العسكرية] لعبوا دورا في بقاء أو نهاية حكم الباشا، وفي بعض الأحيان كان الأوجاق يأخذون رأي العلماؤ، لكن لم يكن أمرا ضروريا للإطاحة به، وكان العلماء ينتظرون جلاء الثورة ليباركوا ويعلنوا الولاء للحاكم الجديد، وفي حالة وقف العلماء معارضين للحكام فإن نهايتهم في الغالب الإعدام، النفي أو العزل من المنصب وهو أخف الأضرار، فبعد أن عارض العالم أحمد قدورة الداي محمد بكداش انتهى إلى الإعدام.

الوظائف والأدوار:

- اشتغل العلماء في الإفتاء والقضاء والتعليم والإمامة والخطابة، وكانت المجالات على سعتها ضيقة ومحددة، ما جعل التنافس عليها بين العلماء شديد، وفي الوقت الذي كان من المفروض أن يشاركوا الحياة السياسية، أصبحوا مجرد لعبة في يد البشاوات والبايات أين كانوا يغلون فريقا على فريق وعائلة على عائلة عند الضرورة.

- تباعد الهوة بين العلماء والمجتمع، الأمر الذي جعل العلماء دائما ينظرون إلى عامة الشعب نظرة فوقانية استعلائية، خاصة وأن العلماء انشغلوا عن هدفهم الرئيسي وهو خدمة الشعب وتوعية إلى إرضاء الباشاوات وكسب ودهم، وهكذا أصبح العلماء طبقة منفصلة لوحدها لها دورها وخصائصها ومؤامراتها.

-لا شك أن أعلى وظيفة كان يتولاها العالم هي الفتوى، ذلك أن الفتوى تحتاج إلى درجة عالية من العلم، كما تتطلب قوة الشخصية والنزاهة والشجاعة في الرأي والثبات على قول الحق. ورغم أن التاريخ الإسلامي شهد حالات كثيرة لرفض منصب القضاء والفتوى

بشتى وسائل التحايل، لكن وعكس ما سبق فإن العلماء الجزائريون خلال العهد العثماني تنافسوا على هذا المنصب.

- كان العثمانيون يتبعون المذهب الحنفي وهو المذهب الرسمي، ولهذا عينوا مفت حنفي يرسل من إسطنبول ويرافق الباشا أين يستمر في منصبه سنتين ثم أصبح يعين من الجزائريين الأتراك المولودين بالجزائر لاحقا، وكان أول من عين من الكراغلة كمفتي حسين بن رجب سنة 1699م.

-

العلاقة بين السلطة والعلماء والعامة:

في رسالة من الباشا يوسف سنة 1642م إلى الشيخ محمد الساسي البوني، طلب منه أن يحث سكان مدينة عنابة بمغبة الإنخراط في التمرد الذي قام به ابن الصخري بالشرق الجزائري، وردا منه على الرسالة أكد محمد الساسي أنه سيعمل ما في وسعه لإخماد الثورة، ويطلب منه أن يسامح أهالي المدينة الذين شاركوا إلى جانب ابن الصخري، ويرد الباشا بأنه قد سامحهم تقديرا للشيخ.

ونلحظ في الرسائل السابقة أن العلماء لم يكن كلهم بعيدون عن العامة وحتى وإن كانوا كذلك فإنهم أثروا فيهم، أين نلحظ بأن السكان المحليين لم يكونوا يخشون السلطة الزمنية كخشيتهم السلطة الروحية؛ فبعد أن "فشلت السلطة التركية في إقناع سكان جبال كوكو بإطلاق سراح الأسيرة الآنسة دي بورك، تدخل أحد علماء بجاية الذي استطاع في النهاية تحرير الأسيرة، فما إن رآه المالك حتى فر من خيمته خوفا واستحياء".

- تميزت بعض الأسر العلمية بالثراء الفاحش، ويقول التمقروتي: "إن حب الدينار وإيثار العاجلة والإفتتان بها غلب عليهم"، فها هو المفتي سعيد قدورة يشارك بعض التجار، وأما ابن عبد الرحمن فقد كان ينفق على ضيوفه بالليلة الواحدة ثلاثون ريالا... وهناك الكثير من النماذج التي اهتمت بحياة الرفاهية على حساب التوعية.

المحاضرة الثالثة: المادة الأوربية وتاريخ الجزائر العثماني.

أسباب الكتابة الأوربية حول الجزائر:

- يبدو أن السبب المادي كان ذا أهمية بالغة في الكتابة حول الجزائر، فمثلا كان الأسير وبعد عودته إلى أوربا بحاجة إلى المال لبداية حياة جديدة في مجتمع غاب عنه لفترة طويلة.

- الطلب المتزايد للمجتمعات الأوربية لمعرفة المجتمعات الشمال إفريقية؛ الأمر الذي دفع دور النشر إلى التسابق لنشر الأعمال التي تهتم بالجزائر، فصدرت الأعمال في طبعات متكررة، " فطبعت مذكرات ماريا مارتين 12 مرة بين سنتي 1809م-1818م، و أما مذكرة جون فوكس فطبعت مرة ثانية بعد 23 سنة على صدورها ومذكرات فرانسيس نايت التي طبعت مرتين خلال العام الأول من صدورها ومذكرة ويليام أوكلاي التي صدرت مرتين خلال سنتين، وجوزيف بيتس الذي نشر مذكرة جديدة عن الجزائر هذا بعد أن لقيت روايته الأولى عن القرصنة نتائج عظيمة، ومذكرة ادوارد وات التي طبعت أربع مرات سنة 1600م".

- يرى بروديل أن الحكومات الأوربية قد شجعت على نشر الأعمال ذات البعد الأيديولوجي، وذلك لإبعاد الأوربيين أولا عن الإسلام والمسلمين خاصة وأن الكثير منهم أصبح جنديا أو بحارا في البحرية الجزائرية يحارب دولته الأم، أما السبب الثاني فيتعلق بإبعاد المجتمع عن الاهتمام بالسياسة؛ علما أن أوربا كانت تعيش حالة تغيير في أفكارها السياسية التي أصبحت تنبذ السلطة المطلقة.

- النكسة التي كانت تعيشها الكنيسة نفسها؛ خاصة حالة الإعتناق التي كان يشهدها العالم الأوربي للإسلام، فقد اعتنق ستة آلاف مسيحي الإسلام في الجزائر أواسط القرن السابع عشر، وهي نسبة كبيرة جدا أين تمثل 3/1 من الأسرى الموجودين بالجزائر.

الطرح التراكمي المتكرر في المصادر الأوربية حول الجزائر:

- جاءت الكتابات الغربية ضمن ما يمكن تسميته كتابات تراكمية خدمة "للرب، السلطة والأمة" ولهذا الغرض النبيل فقد افتتحت أغلب المصادر حول الإسلام خلال عهد الملكة إليزابيث بـ"من أجل الرّب والملكة"، ومن هذا المنطلق فالتضخيم في الرواية ضدّ الآخر المسلم لم يكن أمرا سيئا ما دام يسيء "للشرّير الجزائري".

- إن المادة الخبرية في دراسة العلاقة بين الضفتين الشمالية والجنوبية كتب جزءا كبيرا منها أسرى ذوي مستوى تعليمي منخفض فقد حملت في الغالب تضخيما في الرواية خدمة لأهداف الكنيسة بهدف إبعاد القراء عن الإسلام ودفع الأوربيين للتضامن مع إخوانهم الأسرى في شمال إفريقيا وجمع التبرعات لتحريرهم، وهكذا فإن هذه المذكرات جاءت في الغالب لتعبّر

عن معاناة الأسير الذي وقع في الأسر نتيجة" هجوم بحري عنيف من قبل قراصنة البربر" حسبهم. وعبر عن هذا غالان في سيرته الذاتية "مذكرات حول أسر وتحرير دييغو غالان" : "أخيرا، وبعد أكثر من عشرين يوما من إقلاعنا وتركنا ميناء ملغا خلفنا ومع رياح مساعدة وبعد يومين من الإبحار نحو وهران تجلت أمامنا منطقة البربر على بعد... أقلعت ثمانية غاليارات كبيرة من السواحل تعود للأتراك تحت قيادة مراد أرنؤوط "المرتد" الألباني... وبمجرد أن رآهم قائد سفينتنا قال: "لقد هلكنا".

- النقل الحرفي الذي ساد الأعمال الغربية، فهاي ماريا مارتين تنقل حرفيا ماكتبه جون فوس في مذكراته التي نشرها سنة 1796م، كما أنها نقلت أيضا عن ماري فالنات أساليب التعذيب، وأكدت ماريا مارتين التعذيب "لقد كان يتم إجبارنا مرارا لأخطاء تافهة على نزع ملابسنا، لنقف بعدها عدة دقائق داخل نار متأجّجة، وفي مرّات أخرى ترمي [تؤكد هنا أن المعذّبة امرأة] الجمر والفحم داخل صدورنا، وقامت في حضوري بسلب الحياة من فتاة مسكينة بنثر الأرز المغلّى على جسدها العاري". كلام ماريا مارتين هذا لم نجده في نسخة 1818م لأنه بين سنتي 1809-1818 صدرت 12 طبعة للرواية، وأما جيمس لويس فيعتبر أنّ "دلالات الأرز على جسمها العاري لا تحتاج لتفسير" لكن يظهر أنّ كلام ماريا مارتين السابق تمّ سرقته حرفيا عن رواية فالنات الصادرة سنة 1806م أي ثلاث سنوات قبل صدور رواية ماريا مارتين "لقد كان يتم إجبارنا مرارا على نزع ملابسنا لأخطاء صغيرة، لنقف بعدها داخل نار متأجّجة حتى تتقرح أجسادنا بالكامل تقريبا، ويتم في أحيان أخرى إجبارنا على الوقوف فوق الجمر، ففي إحدى المرات تمّ إنهاء حياة فتاة فرنسية مسكينة، وهذا بتجريدها من ملابسها ومن ثمّ رمي الأرز المغلى على جسدها".

المحاضرة الرابعة: الشعر والشعراء خلال العهد العثماني.

تنقسم العلوم الأدبية إلى ثلاث أقسام رئيسة هي الشعر الأدب والنثر.

الشعر الجزائري خلال العهد العثماني:

1- خصائص الشعر خلال العهد العثماني:

- تنوع الشعر خلال العهد العثماني بين الاجتماعي والسياسي والديني والذاتي وحتى الثقافي، فمثلا هناك من الشعراء من انتقد الحالة الفكرية للعلماء:

وأود لو كانت مجالس بينهم. بضحين في سبيل الهداية معلما

- شهد العثماني طغيان الشعر الملحون على الفصيح، ولعل أشهر هاته الأعمال ما تركه لخضر بن خلوف في شعره حول معركة مزغران 1558م أو الناصري حول فتح وهران سنة 1792م.

- يعتبر الشعر أكثر الأنواع الأدبية تراجعا إذ ماتت في الروح الشعرية، ذلك أن الشعر لم يعد مصدر رزق وإنما أحد الأذواق التي يلهو بها الكتاب لقتل الملل.

- طغيان التقليد على كتابة الشعر وعدم وجود أي تجديد في كتابة الشعر؛ حيث أن الكاتب لا يلاحظ سمة اختلاف المنهج عن السابقين.

- تميز الشعر بطغيان فكرة الألغاز والأحجيات، وكان الأمر مجرد مضيعة للوقت كجعل البيت يبدأ من اليمين إلى اليسار:

مودته تدوم لكل هول وهل كل مودته تدوم

- غلب على الشعر التصنع والتكلف، فمثلا فرغم مدح المشرفي لأرجوزة الحوضي في قصيدته الغزلية إلا أنه قد غلب عليها التكلف والتصنع.

أرذاذ المزن من عيني نزل ... أم دموع الشوق إذ رق الغزل

أبعيني دمعة وكافة ... أم شعيب للنوى منها انتزل

لا بكت عيني ولا أبقى البكا ... ضوءها عن فعلها ان لم تزل

لم يكن ولاة الجزائر يثقفون الشعر حتى يشجعوا عليه في الوقت الذي كان فيه الشعر العربي عموما شعر مدح أو شعر بلاطات، فإذا استثنينا حاكمين أو ثلاثة فإننا نلاحظ أن الشعراء لم يجدوا أي تشجيع معنوي أو مادي لقول الشعر.

2- الشعر والشعراء خلال العهد العثماني:

- هناك الكثير من المجلدات والدواويين الخاصة بالشعراء لم ترى النور والتي لا تزال في طي الكتمان، فدواوين المنداسي وابن علي وابن عمار والمقري والمنجلاتي وابن سحنون

وابن الشاهد لم تحقق بعد، وما وصلنا منها مجرد أبيات في بعض المصادر التاريخية أو الفقهية أو تلك الواردة في الوثائق العامة.

- عاش الشعراء خلال العهد العثماني حالة من الإهمال ما دفعهم إلى عدم طبع أعمالهم حيث بقيت مجرد محاولات في بعض الوريقات ضاعت مع الوقت، وهذا ما ذهب إليه ابن خلدون عندما رأى بأن "أهل المغرب العربي قد أضاعوا رواية أشعارهم وأخبارهم فأضاعوا أنسابهم وأحسابهم"، ورغم ما سبق ذكره فإن الأمر كان حافزا لبعض العراء كأحمد بن سحنون (الأزهار الشقيقة) وأبو رأس الناصري (الدرة الأنيقة).

- رغم أن بعض كتاب وفقهاء العهد العثماني أكدوا على غزارة التأليف في الشعر خاصة بقسنطينة وتلمسان إلا أن هاته الأشعار لم تصلنا أبدا، فقد ذكر عبد الكريم الفكون في منشور الهداية وكذا ابن مريم في البستان أخبار عن شعراء في تلمسان وقسنطينة عرفوا بجودة الشعر وكثرته، ولكن لم يصلنا منه الكثير.

- عمل بعض الشعراء على تضمين أشعارهم أو النقد المباشر للسلطة؛ فرغم أن حث الشعراء للحكام على الجهاد أو ما يسمى شعر الإستصراخ كان يمثل حالة تأييد لهم، لكن بعضهم اعتبره منفذا لهم لانتقاد السلطة، فمثلا جاء في قصيدة محمد أقوجيل للباشا حسين خوجة الشريف، أين استهلها بتحريض الباشا على القتال، لكن ما فتئ يتحدث عن حاله وحال العلماء في عصره وإهمال الحكام لهم وحرمانهم من حقوقهم:

لكن فقدوا الإعانة [العلماء] واغتدوا ما أن يراعيهم ذوي التأمير

... إنّي نصحتك والنصيحة ديننا فاقبل ولم ينصحك دوني خبير.

وفي المقابل رأى الكثير من الشعراء أن ولاءهم للسلطة سيجلب لهم منافع كبيرة كما فعل الكثيرون مع الداي محمد بكداش بعد فتح وهران.

3- أشهر شعراء العهد العثماني:

- لخضر بن خلوف: أحد شعراء القرن السادس أين يعتبر أحد أبرز شعراء الجزائر، ولد بمستغانم لكنه هاجر بعدها إلى تلمسان لطلب العلم والتقى هناك الشيخ محمد عبد الحق بن عبد الرحمن، وكتب قصائد كثيرة في الشعر الملحون كقصائده في مدح النبي صلي الله عليه وسلم وإلياذته في وصف معركة مزغران.

- سعيد المنداسي: ولد بغليزان خلال القرن 17م، هاجر بعدها إلى تلمسان أرض الإشعاع الحضاري، كان معارضا للوجود العثماني في تلمسان أين كتب فيها قصيدة يهجو فيها الأتراك:

امن قادر بالله يحمي تلمسانا فأن بها قوم يا جوج اخواناااا

بنى السد ذو القرنين للناس رحمة في ا ليته من شوكة الترك هنانا

- أبا القاسم الرحموني الحداد: أحد شعراء قسنطينة وأحد الشعراء الناقمين والناقدين للوضع السياسي في الجزائر خلال العهد العثماني، لكما أنه كتب العديد من القصائد يدين فيها تدني المستوى الأخلاقي للمجتمع القسنطيني:

واش تنظروا فيها هلكت راهي فسدت ما بقت تسمى بلدة

المحاضرة الخامسة: اللغة والنثر خلال العهد العثماني.

1- علوم اللغة والنحو:

- لم يؤلف الجزائريون كثيرا في اللغة لكنهم تركوا لنا إنتاجا لا بأس به في النحو، ويبدو أن زواوة لعبت دورا بارزا في النحو، فمنذ عهد بحيى بن معطي الزواوي تركزت العيون كلها على المنطقة، فجاء أبو جميل الزواوي القسنطيني فتقدم بالدراسات النحوية أشواطا عريضة، كما اشتهرت زاوية خنقة سيدي ناجي بالحو حتى أن الورتلاني روى في رحلته أن النحو كان يعتني به الكبير والصغير، كوالف قاسم بن عبد الله المرادي المالكي كتابا سمّاه "شرح في النحو" تأثر فيه كثير بسبويه والأسلوب المشرقي.

- وعكس التأليف في النحو فإن التأليف في علم اللغة المحض كان حكرا على القليل من العلماء، أمثال محمد بدوي الجزائري الذي لخص كتاب الإعتضاد في الفرق الظاء والضاد"، لأبي حيان بن يوسف الأندلسي، وكذا الناصري الذي ألّف "ضياء القابوس في كتاب القاموس" ورفع الأثمان في لغة الولائم والشمان".

- أسهم الجزائريون في ميدان. البيان والمعاني حيث قام عبد الله بن أبي القاسم الثعالبي بشرح قصيدة الحلي شرحا بلاغيا سماه "أنوار التجلي على ما تضمنته قصيدة الحلي"، وقام محمد بن علي الجزائر بشرح الجوهر المكنون...".

2- النثر:

- شمل النثر خلال العهد العثماني المقامات والرسائل الرسمية والوصف والتقاريظ والرثاء.

- غلب على مؤلفي العهد العثماني السجع أمثال أبو رأس الناصري وابن هطال التلمساني، ولعل أبرز الكتاب الذي خلت كتاباتهم من المحسنات اللفظية أسلوب الراشدي.

- فقدان النثر لقيمته حيث أصبح من الصعب على الأدباء تأليف رسالة يسيرة، ما جعل جمهور القراء يتحولون إلى الشعر الملحون أو الشعبي.

2- صعوبات الكتابة في الأدب:

- سيادة العربية في الأوساط الرسمية ومزاحمة اللغات الأوربية الأخرى وبعض اللهجات المحلية التي كانت تعيق حركية اللغة العربية.

- عدم تذوق الحكام للأدب نظرا لاختلاف ثقافتهم ولغاتهم مما أدى إلى عدم تشجيع الأدباء.

- اقتصار نشاط الفئة المثقفة على الوظائف الرسمية التي لا علاقة لها بالأدب ما أدى إلى ذوبان المواهب في رتابة الإدارة.

- هجرة العلماء والأدباء نحو المشرق والمغرب العربيين نتيجة لعدة ظروف سياسية واجتماعية.

- شيوع الشعر الملحون والكتابة العامية على الفصيح الذي كان أكثر شيوعا بين العامة باعتبار أن غالبيتهم لم يكن يفهم الفصحى.

قائمة المصادر والمراجع:

- أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي،

- دهبية بوشيبة، العلم والعلماء في الجزائر خلال العهد العثماني، الحوار المتوسطي، ع3-4.

- جلطي منال، الحياة الثقافية في إيالة الجزائر، العلوم النقلية أنموذجا، مذكرة ليسانس في التاريخ العام، جامعة سعيدة، 2017.

المحاضرة السادسة: علوم الدين، علم الكلام والمنطق.

1- العلوم الشرعية:

- لقد غلب على علماء الجزائر خلال العهد العثماني التأليف في العلوم الشرعية، حتى أن المطلع سيجد أن أغلب المؤلفات تدخل في خانة الدين.

- افتقر الإنتاج في العلوم الشرعية إلى الأصالة والجدة، فكثرة التأليف تدل على أن العلوم الدينية قد سيطرت على الحياة الفكرية، فالقرآن والحديث كان المنبع الأساسي الذي يأخذ منه الجزائريون تفكيرهم.

- اشتغل الجزائريون كثيرا على التفسير كعبد القادر الراشدي القسنطيني، ولعل أبرز الكتب التي درست في التفسير هي تفسير الطبري، الزمخشري وعمل الجواهر الحسان في تفسير القرآن لعبد الرحمن الثعالبي.

- غياب التجديد في العلوم الشرعية عامة حتى أن العالم الذي يحاول التغيير يتم اتهامه بالكثير من الأوصاف، فإذا اجتمع المجلس الشرعي الذي كانت تتدخل فيه الدولة يتم عزله أو يتهم بالزندقة والتكفير، وقد سعى الكثير من العلماء إلى التجديد كابن الفكون ق17م، وأحمد ابن عمار ق18م، ومحمد ابن العنابي أوئل ق19م الذي دعى إلى إعادة تجديد وتنظيم الدولة "السعي المحمود في نظام الجنود".

- كانت الدراسات الفقهية تقليدية أيضا أين لم يصل العلماء لأن يكتبوا عملا يضاهي ما تركه الونشريسي في المعيار.

2- علم الكلام والمنطق:

- استخدم الجزائريون علم الكلام والتوحيد على حد السواء، واعتبروه أهم العلوم، فعرّفه مصطفى الرماصي ق17م: "علم الكلام أوثق العلوم دليلا وأوضحها سبيلا وأشرفها فوائد

وأنجعها مقاصد، إذ به تعرف ذات الحق وصفاته ويصرف عنه ما لا يليق به ولا تقبله ذاته".

– كانت العثائدة السائدة لدى الجزائريين هي عقائد الأشعري، ولعل دراسة يوسف السنوسي في العقائد كانت المصدر المحلي الأساسي لدراسة علم الكلام، أين ارتبطت هاته العلوم بالتصوف.

– يبدو أن إنتاج الجزائريين في المنطق نادر إذا استثنينا؛ علماء كالمغيلي والسنوسي وابن القنفد.

–يعود نقص علم المنطق إلى سببين رئيسيين: أولا صعوبة هذا العلم لأنه يحتاج إلى الموسوعية والإطلاع على الأعمال الإجنبية وكذا السابقين، أما السبب الثاني فهو راجع لطغيان علم التصوف، فقد رأى العلماء أنه قد يؤدي بصاحبه إلى الإلحاد.

المحاضرة السابعة: التعليم والمنشآت التعليمية خلال العهد العثماني.

التعليم خلال العهد العثماني:

– **التعليم الإبتدائي:** يبدو أن التعليم الإبتدائي قد توفر لأغلب الجزائريين فلا تكاد تخلو قرية من وجود مدرسة قرآنية بها، فقد جاء على لسان الجنرال ولسن استر هازي "إن الجزائريين الذين يحسنون القراءة والكتابة كانوا في ذلك العهد أكثر من الفرنسيين الذين كانوا يقرؤون ويكتبون، ف45% من الفرنسيين كانوا أميين آنذاك".

– التعليم الثانوي: بعد أن ينهي الطالب تعليمه في الريف أين يستطيع التلميذ مواصلة تعليمه في الجامع، أو في مدرسة ملحقة بالأوقاف، أين كان التعليم فيه مجانا، أين كان يتلقى العلم في المرحلة الثانوية 3000 تلميذ في كل إقليم، أين يتلقى في نهاية المرحلة إجازة شفوية تسمح له بتولي وظيفة مؤدب أو كاتب.

– التعليم العالي: لم يكن في الجزائر جامعة بالمصطلح المتعارف عليه في وقتنا الحالي، أو حتى جامعة كالأزهر أو القرويين أو الزيتونة، أين لم تكن هناك مؤسسة تستقطب العلماء من الخارج كتلك التي ذكرناها سابقا، لكن الدروس التي كانت تقام في جوامعها الكبرى كانت تضاهي الجامع الأموي بدمشق أين تردد عليها المدرسون من مختلف مناطق الوطن والعالم، فدروس "سعيد قدورة"، و"علي الأنصاري"، و"أحمد بن عمار" بالعاصمة، ودروس "سعيد المقري" في تلمسان، ودروس "ابي ارس" في معسكر وأحمدالبوني"في عنابة كانت مضربا لأمثال في العمق والإحاطة والرقي، غير أن شهرة هؤلاء العلماء ارتبطت بجهودهم الفردية، وليس نتيجة انتمائهم لنظام شامل تخضع له المؤسسات التابعين لها".

2– المؤسسات الثقافية:

1- **الكتاتيب:** كانت بمثابة التعليم التحضيري أو الإبتدائي وقد أطلق عليها لقب "الشريعة" في الأرياف وأما في المدن "المسيد"، ويبدو أنها أنشئت لتجنيب المساجد ضوضاء الأطفال والمتعلمين، أين تمثلت مهمتها في تحفيظ القرآن الكريم والكتابة والقراءة.

2- **المساجد:** وجدت كأداة لإقامة الصلوات والتعليم معا، وقد كانت المساجد أداة تعليمية مهمة خاصة التي اشتهرت بين الناس، أين كانت تلقى بها المحاضرات كالمسجد الأعظم في بجاية، وجامع الخياطين الخياطين بتلمسان وجامع باب الجزيرة بقسنطينة. وتذكر المصادر أنه وجد بالجزائر خلال القرن التاسع حوالي9 جوامع و50 مسجدا، أما تلمسان فوجد بها 50 مسجدا وجامع سيدي بومدين والجامع الكبير وجامع محمد السنوسي. أين استقلت أغلب المساجد عن دعم الدولة من خلال أوقافها الخاصة ما كان يسهل عملية تمويل التعليم أو حتى استقبال العلماء من خارج المدينة، كالمسجد الكبير بالعاصمة الذي احتوى أوقافه الخاصة.

3- **الزوايا:** بخاصة في الأرياف أين كانت مراكز للعبادة والتعليم وكذا تدريس علوم الدين والفقه وتعليم مبادئ القراءة والكتابة مع كونها ملجأ لعابري السبيل. وقد شهدت منطقت زواوة وبجاية انتشارا غير مسبوق للزوايا حيث وصلت إلى حدود الهمسين ولعبت زاوية تيزي راشد (زاوية بن أعراب) أين قصدها التلاميذ من مختلف النواحي، ولعل أشهر المتخرجين منها محمد الذباح. وقد اعتمدت ولو بنسبة أقل على أموال الأوقاف، وكذا أموال الزكاة والهدايا للإنفاق على طلبتها.

قائمة المصادر والمراجع:

- صليحة بردي، الممارسة التعليمة في الجزائر أثناء العهد العثماني، دراسة في الواقع والمعطيات، مجلة الذاكرة.

- بخوش صبيحة، وضعية التعليم في الجزائر في العهد العثماني.